

« علوم القرآن »



« في تعدد أسماء السور »

قال الزركشي: قد يكون للسورة اسم وهو كثير، وقد يكون لها اسمان، كسورة البقرة يقال لها: فسطاط القرآن لعظمها وبهاؤها. وآل عمران يقال اسمها في التوراة طيبة، حكاه النقاش⁽¹⁾. والنحل تسمى سورة التعم لما عدّد الله فيها من النعم على عباده. وسورة (حم عسق)، وتسمى الشورى. وسورة الجاثية وتسمى الشريعة. وسورة محمد (صلى الله عليه وسلم) وتسمى القتال.

وقد يكون لها ثلاثة أسماء، كسورة المائدة، والعنود، والمنقذة. وروى ابن عطية فيه حديثاً⁽²⁾، وكسورة غافر، والطول، والمؤمن، لقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾⁽³⁾ (غافر: ٢٨).

وقد يكون لها أكثر من ذلك، كسورة براءة، والتوبة، والفاضحة، والحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين. قال ابن عباس: ما زال ينزل ﴿وَمِنْهُمْ﴾ حتى ظننا أنه لا يبقى أحدٌ إلا ذكرَ فيها. وقال حذيفة: هي سورة العذاب. قال ابن عمر: كنا ندعوها المشقشقة. وقال الحارث بن يزيد: كانت تدعى المبعثرة. ويقال لها: المسورة، ويقال لها: البحوث⁽⁴⁾.

وكسورة الفاتحة ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً: الفاتحة – وثبت في الصحيحين – وأمّ الكتاب وأمّ القرآن – وثبتا في صحيح مسلم – وحكى ابن عطية:

¹ - هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المقرئ الموصلي النقاش، صنف في التفسير والقراءات، وتوفي سنة 351 (اللباب 3: 235).

² - قوله عليه السلام: «سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة، تنتقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب». نقله القرطبي في التفسير 6: 30.

³ - سورة غافر: 28.

⁴ - قال القرطبي: «لأنها تبحث عن أسرار المنافقين، والمبعثرة: البحث».

كراهية تسميتها عن قوم، والسبع المثاني، والصلاة ثبتا في صحيح مسلم، والحمد، رواه الدارقطني.

وسميت مثنائي، لأنها تنتهي في الصلاة، أو أنزلت مرتين، والوافية بالفاء، لأن تبعيضها لا يجوز، ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن، والكنز لما ذكرنا، والشافية، والشفاء، والكافية، والأساس.

وينبغي البحث عن تعداد الأسماء: هل هو توقيفي أو بما يظهر في المناسبات؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها وهو بعيد.

في اختصاص كل سورة بما سميت:

ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر، أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى. ويسمون الجملة من الكلام، أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة فيها. وسميت سورة النساء بهذا الاسم، لما تردّد فيها من كثير من أحكام النساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ

حَمُولَةٌ وَفَرَشًا﴾ (الأنعام: ١٤٢)، إلى قوله ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ (الأنعام: ١٤٤) لم يرد في غيرها؛ كما ورد ذكر النساء في سور؛ إلا أن ما تكرر وبُسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء. وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها، فسميت بما يخصّها.

فإن قيل: قد ورد في سورة هود ذكر نوح، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى عليهم السلام، فلم تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب. قيل: تكررت هذه القصص في سورة الأعراف، وسورة هود، والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث

اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة؛ فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا.

وإن قيل: فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها، وذلك أكثر من تكرار اسم هود. قيل: لمّا جُرِّدَت لذكر نوح، وقصته مع قومه سورةٌ برأسها، فلم يقع فيها غير ذلك، كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته، وقصة غيره، وإن تكرر اسمه فيها؛ أما هود فكانت أولى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام.

واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجري فيها من رعى التسمية ما ذكرنا. وانظر سورة «ق»، لما تكرر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف.

ومن ذلك السور المفتحة بالحروف المقطعة، ووجه اختصاص كل واحدة بما وليته، حتى لم تكن لترد «ألم» في موضع «الر»، ولا «حم» في موضع «طس»، لاسيما إذا قلنا: إنها أعلام لها وأسماء عليها.

وكذا وقع في كل سورة منها ما كثر ترداده فيما يتركب من كلمها؛ ويوضحه أنك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها، وجدت الحروف المفتحة بها تلك السورة أفراداً، وتركيباً أكثر عدداً في كلماتها منها في نظيرتها، ومماثلتها في عدد كلمها وحروفها، فإن لم تجد بسورة منها ما يماثلها في عدد كلمها، ففي اطراد ذلك في المماثلات مما يوجد له نظير ما يشعر بأن هذه لو وجد ما يماثلها، لجرى ما ذكرت لك. وقد اطرّد هذا في أكثرها، فحقّ لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها؛ فلو وضع موضع «ق» من سورة «ن»، لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى. وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها «الر» مائتا كلمة وعشرون أو نحوها، فلهذا افتتحت بـ«الر». وأقرب السور إليها مما يماثلها بعدها من غير المفتحة بالحروف المقطعة سورة النحل، وهي أطول منها مما يركب على «الر» من كلمها مائتا كلمة، مع زيادتها في الطول عليها، فلذلك وردت الحروف المقطعة في أولها «الر».

